



من فن الممكن في السياسة تطبيق إحدى قواعدها: عدو عدو صديقي، وهذا ما يفسر - بلا ريب - الموقف الروسي من الثورة السورية، مثلما فسر - دون شك - الموقف الأمريكي من الثورة الفلسطينية. ثورتان تتشابه مشاهدهما تشابه التوأمرين المتماثلين، ومواقفان دوليان كل يفضح الآخر. فموسكو زعمت أكثر من مرة خجلها من موقف واشنطن إزاء مذابح ارتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين، وهم ليسوا شعبها، واليوم تدعي واشنطن اشمئزازها من موقف موسكو تجاه مذابح ارتكبها النظام السوري ضد سوريا، وهم شعبه.

لأن عدو العدو صديق في حسابات السياسة، فإنه ليس في منزلة الصديق "المباشر" الذي لا توثق عروة صداقته عداوة العدو. فالصنف الأول: تندثر صداقته بجلاء العداوة، ولو اتفقت موسكو واشنطن على الكعكة الشامية وحصة كل منها، ستدين روسيا حينها عمليات القتل التي ينفذها النظام السوري ضد الثوار العزل، وإن بعبارات أقل حدة من العبارات الأمريكية، علمًا أن مخارج الحروف الروسية أقوى.

لم يأت الموقف الروسي في مجلس الأمن بخصوص سوريا حُبًّا في دمشق الشرق، بقدر ما هو نكایة للغرب، وبيدق شطرنج يُلعب ضمن الحرب الباردة التي يسخنها صراع المصالح. تماماً مثلما لم تكن موسكو عاشقة لحركة "حماس"، لكنها كارهةً أعداء حماس، أو من تعاديهم حماس. وكذا واشنطن، لم تكن مغرمة بمسلمي البلقان، لكنها مبغضة لصربيا حلية الروس. المحزن أن العرب والمسلمين هم الكرة الأهم التي يتلقنها لاعبو الفريقين غير الرفيقين.

في العقددين الأخيرين لم يعد الفريقان الروسي والأمريكي متكافئين، فقد رجحت كفة واشنطن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي عبد طریقاً مترفاً أمامها لتسخير دورياتها الشرطية لمراقبة "إدارة" معظم هذا الكوكب الأرضي، من دون أدنى مبالغة بردات الفعل الروسية. ثمة أحداث لا تجعل المرء يخامر الشك في صحة روحان كفة واشنطن، وفي حقيقة أنها إذا عقدت العزم على أي فعل فإنها ستتجاوز مجلس الأمن مثلما يجوز لدورية الشرطة تجاوز السرعة القانونية وأن لا تقف على الإشارة الحمراء حين الطوارئ.

في مطلع التسعينيات، تدخلت الولايات المتحدة، بالغطاء الأطلسي، في يوغسلافيا السابقة، من خلال عمليات عسكرية ضد

صربيا، مثلما فعلت تماماً في أفغانستان. وشنّت واشنطن حربها على العراق عام 2003م متجاوزة مجلس الأمن، وموافق روسيا المعارضة للحرب، وأسقطت نظام صدام حسين. لذلك إن قررت واشنطن شن عملية عسكرية ضد نظام الأسد، فلن يمنعها غضب روسي، ولا تهديد إيراني، ولا جمعية عربية، فهذا حكم القوي الذي أثبت أنه فوق مجلس الأمن الذي لا أمن فيه، وأنه لا يأبه بخطابات الكرملين التي كثيرةً ما أسعدت العرب.

لقد حققت واشنطن إنجازاً مهماً يتمثل في جعل الكثير من العرب كارهين لروسيا، بعد أن أحبوها. وفي إظهار روسيا مرة أخرى على أنها نظام ديمقراطي يدعم الديكتاتوريات العربية، خصوصاً في آخر رقم لها في الشرق الأوسط، وهي سوريا المشكّلة من حروف روسيا.

المصدر: أخبار الثورة السورية

المصادر: